ISSN : 2543-3938 - EISSN : 2602-7771

مقاربة تفكيكية للخطاب المعرفي عند عبد الكريم سروش؛ دراسة في تحولات الحداثة

Deconstructing Abdolkarim Soroush's Epistemological Discourse: A Study of the Transformations of Modernity

عادل صياد

[1] جامعة آكلي محند أولحاج البويرة (الجزائر)، a.siad@univ-bouira.dz

(009-0000-9993-6092)

تاريخ الإستلام: 2026/03/06 تاريخ القبول: 2026/09/04

ملخص:

يتناول هذا البحث تفكيك الخطاب المعرفي في مشروع "عبد الكريم سروش" في ضوء تحولات الحداثة وما بعدها، من خلال مقاربة نقدية تستقصي الأسس الإبستمولوجية التي يقوم عليها فهم المعرفة الدينية وحدودها، ويسعى إلى الكشف عن الكيفية التي أسهمت بها تحولات الحداثة في إعادة تشكيل أنماط التفكير الديني المعاصر، عبر زحزحة يقينيات الخطاب التقليدي والانفتاح على أفق تأويلي يعيد النظر في العلاقة بين الدين والمعرفة والسلطة.

وفي هذا السياق، يحلل البحث المفاهيم المركزية في فكر "سروش" مثل نظرية القبض والبسط في المعرفة الدينية، والتعددية الدينية، والتمييز بين الذاتي والعرضي في الدين، مبرزًا دورها في إعادة بناء الخطاب الديني على أسس معرفية أكثر انفتاحًا وتاريخية، ويخلص إلى أن أطروحات "سروش" لا تمثل مجرد مراجعات فقهية أو كلامية، بل تعكس تحولًا أعمق في البنية المعرفية للفكر الديني المعاصر، بما يفتح المجال لقراءات نقدية تتقاطع مع رهانات الفكر الحديث ومقارباته التأويلية.

الكلمات المفتاحية : التفكيكية؛ الحداثة؛ الخطاب؛ ما بعد الحداثة؛ المعرفة؛ سروش عبد الكريم.

***

Abstract:

This study examines the epistemological discourse of Abdolkarim Soroush through a deconstructive lens, situating his intellectual project within the broader transformations of modernity and postmodern thought. It explores the epistemic foundations that shape contemporary understandings of religious knowledge and investigates how the shifts associated with modernity have contributed to reconfiguring patterns of religious reasoning. In this context, the study highlights the movement from the certainties of traditional discourse toward a more interpretive horizon that reconsiders the relationship between religion, knowledge, and authority.

Keywords: Abdolkarim Soroush; Deconstruction; Discourse; Epistemology; **Modernity; Postmodernity.**

ا. مقدمة

عرف العالم الغربي - بعد قرون من طغيان الإقطاع المؤتلف من اتحاد الكنيسة مع النّبلاء- موجات انعتاق ونزعات تحرر، انتهت تدريجيا إلى ثورات علمية/ فكرية/ عقلية، صناعية، وسياسية، أخرجت أوربا من مرحلة ما عرف بعصور الظلام والقرون الوسطى، إلى مرحلة عصر النهضة والتنوير، انسحبت مخرجاتهما على شتى مناحي الحياة، كالنظرة للدّين، وللتاريخ، وللثقافة وللعلوم والمعارف الموروثة، ولأنظمة الحكم والاقتصاد والسياسة، ممّا أفضى إلى ما عُرف بمسميات تناسب هذه الحال الجديدة كالحداثة، والعصرنة، والتحديث، والتجديد، والعلمنة، مؤداها جميعها يصبّ في مدار تقديس العلم والعقل وصولا بهما إلى درجة التأليه، بديلا عن الدين المشوب بتحريف رجاله وأهوائهم وشهواتهم.

غير أنّ الحداثة الواثقة في العلم والعقل انتهى بها المطاف أخيرا إلى نزعة انقلابية ضدّ ذاتها، حينما تبدّى لها بأن العلم والعقل الموثوق بهما، قد أديا في النهاية إلى نتائج وعواقب وخيمة على البشر والكون والحياة، فبدأ التشكيك في العلم والعقل وجدواهما وقدرتهما الإجابة على كل سؤال وحل كلّ إشكال، ممّا أفضى تدريجيا إلى دعاوى الثورة على الحداثة وإنهاء عهدها، وإحلال مرحلة جديدة محلّها.

تصديقا للمعنى الذي جاء في الحديث الشريف بحتمية اتّباع سنن من قبلنا شبرا بشبر وذراعا بذراع، فقد انطلقت في البيئة العربية الإسلامية دعاوى متعددة منذ أواسط القرن التاسع عشر، تتبنى بوعي منها أو بغير وعي دعاوى التحديث والعلمنة الغربية في مرحلتها وحالتها؛ الشاملة والجزئية، السائلة والصلبة، متذرعة في ذلك بما انتهى إليه التحديث المنصرف إلى العلمنة والعقلنة في العالم الغربي –لاسيما في بداياته – من كشوفات علمية وقيم أخلاقية وإنسانية، انسحبت على شتى مجالات الحياة بالرفاه، والصواب والصحة والتسهيل، والحرية، والديمقراطية، على الرغم من تحييدها الدين عن هذه المجالات، وبتّ صلتها بكتبها المقدّسة وسياقاتها، متناسية - هذه الدعاوى- أو غافلة عما انتهت إليه فيما بعد من عواقب وخيمة.

غير أنّ تسليط الضوء على عدد كبير من المشاريع التحديثية في البيئة العربية الإسلامية وفي الواقعين السنّي والشيعي، لا يمكن لتفاصيل هذه الورقة أن تستوعبه دون الإخلال به، لذلك تختار الورقة واحد من المشاريع التحديثية الشيعية موضوعا لها، إضافة إلى تسييجه بعدد من الأفكار والرؤى والأطروحات الشيعية التي تزامنت وتقاطعت مع هذا المشروع في بعض الجوانب، وإن اختلفت معه في أخرى.

تكمن أهمية هذه الورقة البحثية إذن في محاولة تسليط الضوء على مشاريع وأطروحات فكرية شيعية هي في الأساس ذات مرجعيات دينية محضة، لكنّها في ظل ظروف وردود أفعال معينة انتهجت مسارات التحديث الغربي مرجعيات لها أو تقاربت مع تلك المسارات وتأثرت بها، لاسيما في بت بعضها صلتها بسياقاتها التراثية والتاريخية، وتحييدها الدّين أحيانا أو بعض تمظهراته كالفقه عن شؤون السياسة خاصة وشؤون الحياة عامة، حتّى تسمّت بعض الأطروحات الشيعية بالعلمانية المؤمنة، اعتقادا منها بأنّ هذا المنزع، مسلك وحيد أوحد أو مسلك أصح أصلح، لإعادة البعث والاستئناف الثقافي والحضاري، والحصول على نصيب من الفردوس الأرضي وما يترافق معه من رفاه وصواب وصحة وتسهيل وحرية وديمقراطية.

منطلقة –هذه الورقة- من إشكالية مفادها التساؤل عن الحداثة وماهيتها وانعكاساتها على البيئة العربية الإسلامية، ممّا يقودنا إلى السؤال عن أهم المشاريع والأطروحات التحديثية الشيعية، ومن روادها؟ ما خلفياتهم؟ وما كانت أفكارها/م؟ وفي أي سياق يمكن إدراجها؟

محاولة للإجابة على التساؤلات أعلاه تنتهج الورقة منهج الوصف والتحليل، توصيفا للأفكار وتحليلا للمضامين، وتتوسل المنهج التاريخي عودة إلى المحطّات والحقب والمرجعيات التي انطلقت منها وفيها هذه المشاريع والأطروحات.

وقد سبق إلى العناية بهذا الموضوع باحثون متعددون استفدنا من بعض رؤاهم وكتاباتهم على غرار مؤلفات عبد الواهب المسيري المنفردة؛ كموسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، وكذا العلمانية الشاملة والعلمانية الجزئية، وبالتشارك مع فتحي التريكي في كتابهما، الحداثة وما بعد الحداثة، وتكمن فرادة هذه الورقة في محاولة الإحاطة بعدد من المشاريع والأطروحات الشيعية التي ظهرت تباعا على مدار قرابة قرن من الزمن أي منذ أوسط القرن العشرين إلى الربع الأول من القرن الواحد والعشرين، في بيئات جغرافية متنوعة كإيران والعراق ولبنان، ومن أعراق متنوعة؛ عربية وفارسية، من خلفيات فكرية شيعية لكن متنوعة أيضا في قربها وبعدها من نظرية وأطروحات مركزية في الفكر والواقع الشيعي الحديث، كنظرية ولاية الفقيه في عموما ونظرية ولاية الفقيه المطلقة، ومسافة القرب والبعد والتقاطع والتباين مع جمهورية إيران في ظل هذه النّظرية.

وقد ارتأينا توزيع الورقة على مبحثين على وفق الخطة التالية:

- المبحث الأول: في مفهوم الحداثة وما بعدها.
- المبحث الثاني: دعاوى التجديد ونزعات الحداثة والعلمانية في الفكر الشيعي المعاصر: من أطروحات الدولة المدنية إلى مشروع سروش.

المبحث الأول: في مفهوم الحداثة وما بعدها.

1. مصطلح الحداثة وما بعدها من خلال المعجم وسياقات الاستخدام.

الحداثة في الاستعمال اللساني العربي منوطة بالشباب وصغر السنّ، جاء في م العين مثلا: « **والشَّبَابُ أيضا الحَدَاثَةُ وَكَذَا الشَّبِيبَةُ وهو خِلَافُ الشَّيْبِ.**» (الفراهيدي، د ت، ج 3، ص 177) فربطت ها هنا بصغر السنّ والفتوة، كما أنّ الجذر اللساني "ح د ث" ينطوي في طيّاته على معنى الجدّة، فالحديث في الاستعمال العربي الجديد (ينظر، الفراهيدي، د ت، ج3، ص 177).

حاملا لهذا المعنى "الجديد" جاء مصطلح الحداثة في الاستعمال العربي المعاصر ترجمة للمصطلح الغربي modernism بمعنى تحديث وعصرنة ما هو قديم عبر انتهاج مسالك العقل والعلم والمعرفة، وتخليا عن الارتهانات القبلية للدّين والتراث والعادات والتقاليد اللامعقولة والتي لا تسندها أسس علمية معرفية، ومن ثمّ

فقد جاء مصطلح ما بعد الحداثة Postmodernisme حاملا في طيّاته طاقات التحطيم لسرديات الحداثة الكبرى المبنية على أحادية الوجود واليقين المعرفي.

2. مصطلح الحداثة وما بعدها في الاستخدام الاصطلاحي.

2. 1 مصطلح الحداثة.

تندرج المصطلحات المرتبطة بالتحديث والحداثة والعلمانية شاملة المهيمنة على سياقات التفكير الغربي وتصدر « **عن تأكيد زمنية ومكانية ومادية كل شيء، وإخضاع كل شيء، وضمن ذلك الإنسان، لعمليات الترشيد العقلاني المادي في إطار معايير عقلانية صارمة. وعملية التحديث متتالية تحققت تدريجياً. وتَحقُّقها التدريجي هذا يعني التصاعد التدريجي والمستمر للواحدية المادية إلى أن تسيطر تماماً.**» (المسيري، د ت، ج 2، ص 136) فمصطلحات التحديث والحداثة بقدر ما تبدي جانبا مشرقا مناطه العصرنة وتسهيل الحياة وإيجاد الحلول والاحتكام للعقل والعلم، تخفي وتبطن جانبا آخر مناطه تسليع الإنسان وإخضاعه لسطوة مادية يصعب الفكاك منها.

ممّا قاد إلى تراجع مستمر للفلسفة الإنسانية مترافق مع تراجع لفلسفة الإنسان، وكذا « **عن ثنائية الإنسان والطبيعة وعن الإيمان بالثبات والتجاوز، وهو في واقع الأمر تَصاعُد مطرد للواحدية المادية ومحو لكل الثنائيات والخصوصيات والهويات والثبات وتفكيك لمقولة الإنسان كمقولة لها حدودها المستقلة المتماسكة ليسقط الإنسان تماماً في قبضة الصيرورة وزمانية ومكانية منظومة الحداثة العلمانية الشاملة.**» (المسيري، د ت، ج 2، ص 136) وكلما تماهى هذا الإنسان المشيؤ في الحداثة كلما أحكمت بدورها قبضتها عليه.

ومن ثمّ فإن « **ما يُسمَّى التلاقي (بين النظم الرأسمالية والاشتراكية)، وهيمنة النماذج البيروقراطية والكمية، وإزاحة الإنسان عن المركز، والتَسلُّع، والتحييد، والتَشيُّؤ، والاغتراب، ونزع القداسة عن العالم، وإنكار الجوهر الإنساني، والهجوم على الإنسانية المشتركة، والنظام العالمي الجديد ... إلخ هو تعبير عن نفس الظاهرة وليس مجرد انحرافات عن مسار التحديث وعن جوهره.**» (المسيري، د ت، ج 2، ص 136) إذ الحداثة في لبّها وجورها مكتنزة - تحت غلاف العلمنة والعقلنة- بكل هذه التفاصيل التي قد لا تظهر على السطح لكن مسارها مؤد بطريقة حتمية إليها.

2.2 مصطلح ما بعد الحداثة.

تبعا لمصطلحات التحديث والحداثة، جاء مصطلح ما بعد الحداثة « **مصطلح نفي سلبي، وهو ترجمة لمصطلح "بوست مودرنيزم "post-modernism" أو "post-modernism" . وقد تُستخدَم كلمة "بوست مودرنيتي post modernity" للدلالة على الشيء نفسه. وأحياناً يُطلَق على مصطلح "ما بعد الحداثة" تعبير "ما بعد البنيوية" (بالإنجليزية: بوست ستراكتشراليزم post-structuralism) باعتبار أن فلسفات ما بعد الحداثة قد ظهرت بعد ظهور وسقوط (الفلسفة) البنيوية.**» (المسيري، د ت، ج 2، ص 145) كما يمكن أن يتشاكل مصطلح ما بعد الحداثة مع مصطلح التفكيكية بل يكاد يترادف معه.

حدّد المسيري معيارا يمكننا من التفريق بين المصطلحين المتشاكلين أي "ما بعد الحداثة" و"التفكيكية"، قال: « **وللتمييز بينهما، يمكن القول بأن "ما بعد الحداثة" هي الرؤية الفلسفية العامة، أما "التفكيكية" فهي بالمعنى العام أحد ملامح وأهداف هذه الفلسفة. فهي تقوم بتفكيك الإنسان، كما أنها منهج لقراءة النصوص يستند إلى هذه الفلسفة.**» (المسيري، د ت، ج 2، 145) ينتج عن هذا التحديد أنّ التفكيكية هدف من أهداف ما بعد الحداثة، وهي في المقابل من ذلك خلفيته وفلسفته.

تبعا لما تقدّم فإن فلسفة ما بعد الحداثة تتهم « **كل الفلسفات الغربية بأنها "متمركزة حول اللوجوس"، أي ملوثة بالميتافيزيقا، ويحاول أنصار ما بعد الحداثة تأسيس نسق فلسفي بدون لوجوس ومن ثم بدون مركز وبدون ميتافيزيقا بل بدون حقيقة.**» (المسيري، د ت، ج 1، ص 412) نسق عائم تماما لا يمكن القبض عليه، وإذا كان نسق الحداثة نسقا ماديا صلبا، فإنه يصدق على نسق ما بعد الحداثة تسميته بالنّسق السائل.

المبحث الثاني: دعاوى التجديد ونزعات الحداثة والعلمانية في الفكر الشيعي المعاصر: من أطروحات الدولة المدنية إلى مشروع سروش.

1. إضاءة على عدد من الأطروحات والرؤى والمشاريع الشيعية الحديثة.

عرف الفكر الشيعي المعاصر نزعات تجديدية مدنية، وأحيانا حداثية علمانية جاءت في مجملها ردود فعل على ما اعتبروه إخفاقات لنظرية ولاية الفقيه المطلقة، أو لأسباب أخرى مرتبطة بسياقات العصرنة والتحديث مواكبة لمنجزات ومخرجات القرن العشرين، في العالم الغربي، والتي انسحبت بحكم المجاورة والتأثر والاستعمار إلى البيئة الإسلامية، فـ « **في العصر الحديث (...) حدث تجاذب ونزاع حول سؤال السلطة ومفهوم الدولة داخل الجماعة الشيعية، إذ أنها شعرت بالأزمة والحرج بعد بروز الدولة الحديثة، وتحوّل الجماعات التقليدية إلى جماعات نشطة وفاعلة، وتحوّل النظام السياسي إلى نظام مؤسساتي وحديث، فبدأت الأصوات "الإصلاحية" والتجديدية تدعو إلى التوفيق بين التراث الشيعي والعالم الحديث. وبقي تيار تقليدي على إرثه القديم، وبرزت تيارات من داخل التيارات، و أفكار متباينة، وقراءات متعارضة وتصارعت في ما بينها.**» (الصياد، 2022، ص 9) ومن ثمّ تبلورت عدد من الرؤى والأطروحات والنظريات المتلبسة بدعاوى التجديد والتحديث وحتى العلمنة، في إطار المرجعيات الدّينية، أو حتّى خارجها، على غرار:

1.1 أطروحة ولاية الفقيه المنتخب.

تعود فكرة/ نظرية ولاية الفقيه المنتخب لمحمد باقر الصدر (1935- 1980): والذي لم يؤمن « **بنظرية ولاية الفقيه المطلقة بصورتها الخمينية، وكان له خطّ مغاير إذ أسس لنظرية "ولاية الفقيه الشورية" أو "ولاية الفقيه المنتخب.**» (الصياد م.، د ت، ص 171) منتهجا سبيلا وسطا ما بين ولاية الفقيه الخمينية ونظرية الشورى، ويكون ذلك عن طريق الانتخاب للفقيه فالانتخابات هي التي تمنحه شرعية ممارسة الحكم، "فيكون للأمة ولاية الحكم وللفقيه ولاية الرقابة والإشراف والإدارة العليا، والشورى وفق هذه النّظرية ملزمة للفقيه غير

اختيارية والقوة تكون بيد أهل الحل والعقد أو البرلمان أو الشورى في إطار المصلحة العامة للدولة (الصياد م.، د ت، ص 171).

إضافة إلى رؤاه في ولاية الفقيه، فإن له رؤى فلسفية لافتة فقد كان "محمد باقر الصدر" يقول بالفلسفة وله كتاب بهذا العنوان "فلسفتنا" ففيه يحاكم الفلسفة الماركسية، من منطلقات إسلامية، وأخرى عالمية، مستعرضا بلا موارية؛ نظرية الاستذكار الأفلاطونية والنظريات العقلية والنظرية الحسية ونظرية الانتزاع (ينظر، الصدر، 2009، ، ص 102- 109)، وذلك خلافا لبعض الرؤى الدينية وبعض المرجعية الشيعية المضادّة للفلسفة والتي قد لا تقبل منها سوى شقّها العرفاني.

2.1 **فكرة الدولة المدنية في ظل الأنسنة السياسية.**

تعود هذه الفكرة لموسى الصدر (1928- 1979م) وهو بدوره لم « **يؤمن بدولة الفقيه ولا دولة الفقهاء، بل اعتقد بالدولة المدنية وصبّ جل مشروعه على ترسيخ مفهوم الإنسانية.**» (الصياد م.، د ت، ص 194) سعيا منه لأنسنة السياسة، ولم يكن في حسبانه ولا أولوياته إقامة نظام إسلامي، ولا تأسيس أحزاب دينية.

3.1 فكرة مأسسة الشريعة.

وهي فكرة تعود لجواد مغنية (1904- 1979) حيث يرى « **أنّ الدولة الإسلامية لا تحتاج إلى رقيب فقهي أو رجل دين فوق القوانين والدساتير.**» (الصياد م.، د ت، ص 196) وهو طرح يسعى بصورة ما إلى مأسسة الشريعة وتمدين الحياة عبر تحويل الأحكام إلى دساتير ومؤسسات وقوانين.

4.1 نظرية ولاية الأمة على نفسها.

انتقد مهدي شمس الدين (1936- 2021) نظرية الخميني بل فنّدها محاولا طرح بديل عنها بنظرية "ولاية الأمة على نفسها" معتبرا الأمة « **أكبر من الفقيه والفقهاء، والأمة هي التي تشكّل الدولة، وتحدد النّظام السياسي في ظلّ غياب الإمام المعصوم.**» (الصياد م.، د ت، ص 201) ومن ثمّ فلا مشروعية سوى مشروعية ولاية الأمة على نفسها، ومن ثمّ فهي التي تشرّع لدولة مدنية ديمقراطية تسندها التعددية واحترام الحقوق الدينية والسياسة ولا يجوز للفقهاء تولي سلطة فيها.

5.1 أطروحة التواضع على صيغة حكم وارتضائها.

أطروحة لحسين فضل الله (1935- 2010) وهي أطروحة متفرعة عن نظرية ولاية الأمة على نفسها مفادها تواضع المسلمين على صيغة حكم يرتضونها، فالأمة أساس الاختيار لأي نظام حكم حتى وإن لم يكن للفقهاء فيه دور، شريطة عدم مخالفته للقطعي من أحكام الشريعة (الصياد م.، د ت، ص 205، 206).

6.1 نظرية العلمانية المؤمنة.

دعا إليها وأسسها "محمد حسن الأمين" (1945- 2021) وفيها إيمان ودعوة صريحة للدولة المدنية، كما ذهب في نظريته هذه إلى إمكانية « **ترشيد العلمانية بما لا يتصادم مع قطعيات الدّين، وبما يخدم التعايش**

المشترك بين طوائف الشّعب الواحد، والقفز على ثقافة الطائفية والمحاصصة.» (الصياد م.، د ت، ص 212)، ورفض الأمين الهيمنة الإيرانية، لأن الدين شامل موجّه للبشرية جمعاء، بما في ذلك التعدد اللغوي والخصائص المميزة لكلّ أمة وشعب غير أنّ هذه النظرية ظلت نخبوية لا يلتف حولها كثير من الأنصار في لبنان فضلا عن غير لبنان.

2. قراءة في مشروع عبد الكريم سروش.

1.2 في التعريف بسروش وخلفيته الفكرية.

عبد الكريم سروش "حسين حاج فرج دباغ" من مواليد 1945 بالعاصمة الإيرانية طهران (ينظر، البقالي، سبتمبر 2020، ص 51)، حيث درس في الابتدائية في القاتمية في طهران ثم انتقل إلى ثانوية الرفاه التي تزاوج بين العلوم الطبيعية والدينية في مناهجها، وفي هذه المرحة تأثر بأستاذه "رضا روزبيه" والذي كان معروفا بتفسيره لآيات القرآن الكريم (ينظر، حليم بن هبري، أحمد باجي، جوان 2023، ص 201)، فضلا عن تأثره بأستاذه "رضا روزبيه" فقد أسهمت بعض الكتب الفكرية في تكوينه على غرار؛ "جامع السعادات" "للملا محمد مهدي النراقي" (ت 1029ه) و "المراقبات في أعمال السنة" لـ "ميرزا جواد آغا الملكي التبريزي" (ت 1343ه) (ينظر، حليم بن هبري، أحمد باجي، جوان 2023، ص 201).

كانت دراسته الأساسية في الجامعة تندرج ضمن تخصص الصيدلة، بعد إتمام دراسته في إيران وآدائه الخدمة العسكرية عيّن مسؤولا عن مختبرات الدولة في "بوشهر" لمدة عام ونصف، ليسافر بعدها سنة 1972م إلى لندن بعد حصوله على منحة دراسية لمواصلة تعليمه في تخصص الكيمياء التحليلية، ثمّ التحق بكلية تشيلسي لدراسة التاريخ وفلسفة العلوم، اصطحب معه في رحلته هذه "الأسفار الأربعة (العقلية) "لصدر المتألهين الشيرازي" و"المحجة البيضاء" "للملا محسن فيضي الكاشاني"، و"المثنوي المعنوي" وكذا "ديوان شمس الدين" "لجلال الدين الرومي" (ينظر، حليم بن هبري، أحمد باجي، جوان 2023، ص 202) كما تأثر بعدد من الشخصيات الفكرية على غرار؛ "محمد إقبال (ت 1938)"، و"علي شريعتي (ت 1977)"، و"مرتضى مطهّري (ت 1979)"، و"محمد حسين الطابطبائي (ت 1981)" (ينظر، حليم بن هبري، أحمد باجي، جوان 2023، ص 201).

شارك أثناء تواجده بلندن في عدد من الفعاليات السياسية والفكرية، التي تزامنت مع ثورة الخميني في إيران ضد الشاه (ينظر، حليم بن هبري، أحمد باجي، جوان 2023، ص 202) فضلا على ذلك فقد تأثر "سروش" بالمرجعية الغربية خصوصا في شقّها الحداثي وهو ما جعل الساحة الدينية والثقافية الإيرانية تحيّزه ضمن جماعة المفكرين المستنيرين/ روشنفكران (ينظر، خماس مختار، الحاج دواق، 2023، ص 109، 110) والذين ينطلقون عادة من مبدأ نقد الماضي المظلم والدعوة إلى غد مشرق (ينظر، خماس مختار، الحاج دواق، 2023، ص 110) لذلك نجد عدد من القضايا الأساسية تطرح بكثافة في مشروع سروش ومن شاكله من المستنيرين مناطها؛ القومية، الحداثة، العلمانية، الديمقراطية، النّزعة الإنسانية.

عاد إلى إيران بعد نجاح الثورة، عام 1979 ونشر كتابه "قيمة المعرفة"، عين مديرا لمؤسسة الثقافة الإسلامية، وعاد إلى جامعة إيران ليحصل منها على شهادة الدكتوراه في الفلسفة الإسلامية (ينظر، خماس مختار، الحاج دواق، 2023، ص 108).

تقلد عددا من المناصب منها: عضو المجلس الأعلى للثورة الثقافية، أستاذ التاريخ والفلسفة والكلام الجديد والعرفان الإسلامي في الجامعة الإيرانية، باحث في جمعية الحكمة والفلسفة، عضو مجمع العلوم، باحث بمؤسسة الدراسات والبحوث الثقافية (ينظر، خماس مختار، الحاج دواق، 2023، ص 108).

في فترة التسعينات زادت حدّته في انتقاد الفكر الدّيني لاسيما الدور السيّاسي لعلماء الدّين، وكان يعبّر عن آرائه من خلال المجلة الشهرية "كيهان فرهنكى" وتعني بالعربية "العالم الثقافي" وكان من مؤسسيها، طارحا عددا من الأفكار المثيرة للجدل مناطها، التعددية الدينية، التسامح، الحرية والسياسة (ينظر، خماس مختار، الحاج دواق، 2023، ص 108).

يشغل منذ العام 2000 منصب أستاذ زائر بجامعة هارفارد الأميركية، وفي عدد من كبرى الجامعات العالمية، وفيها يدرّس الفلسفة الإسلامية، والعرفان الإسلامي، الدراسات القرآنية، فلسفة الشريعة الإسلامية (ينظر، خماس مختار، الحاج دواق، 2023، ص 108).

أثرى المكتبة الفكرية بعدد من المؤلفات منها؛ القبض والبسط النظري للشريعة، بسط التجربة النبوية، الصراطات المستقيمة، التراث والعلمانية، السياسة والتدين، العقل والحرية، الدين العلماني، أرحب من الأيديولوجيا، العقل والحرية والديمقراطية في الإسلام، أخلاق الآلهة، كلام محمد رؤى محمد، وغيرها (ينظر، خماس مختار، الحاج دواق، 2023، ص 108، 109).

2.2 في أهم الأفكار التي يطرحها.

يطرح "سروش" من خلال مشروعه جملة من الأفكار نستعرض أهمها فيما يلي:

1.2.2 فكرة التعددية الدّينية والصراطات المستقيمة.

من أبرز أفكار "سروش" فكرة الصراطات المستقيمة والتعددية الدينية « **وهي نظرية معرفية تدخل في حقل حقانية الأديان والمذاهب وقد كشفت –في نظره- على أن الكثرة والتنوع الموجود بين الأديان والمذاهب يمثل ظاهرة و اقعية وحقيقية ويعد إفرازا طبيعيا غير قابل للاجتناب بمقتضى جهاز الإدراك البشري المختلف من إنسان لآخر، وهي أمر لابد منه لتشكيل أي بناء لاهوتي ومعرفي بل إن روح التعددية الدينية هو الذي يضفي على الأشياء قيمتها وأهميتها ومصداقيتها ولذا فإنه يرى أن من الخطأ أن يحصر الحق في فئة أودين أو مذهب وإنما جميع اعتقادات الناس تعتبر محقة وصحيحة.**» (البقالي، سبتمبر 2020، ص 52، 53) فالحق وفق هذه النّظرة متعدد لا واحد، وأن له تمظهرات متعددة وأشكال كثيرة.

2.2.2 فكرة القبض والبسط.

من أهم الأفكار التي يطرحها "سروش" في مشروعه فكرة القبض والبسط، وفيها يحاول تنزيه « **ساحة الشريعة والإيمان، من مشاكل القبض والبسط، على أن يبلو المعرفة الدينية (المستفادة من الكتاب والسنة) بالقبض والبسط.**» (واعظي، 2003، ص 71) فهو يفرّق بين الكتاب والسنّة والمعارف المستفادة منهما، إذ المعارف المستفادة منها في النّهاية بشرية، مفرّقا بين ثلاثة عناصر هي: الإيمان، والشريعة، والعلم بالشريعة أي المعرفة الدّينية، فإذا كان الإيمان ثابتا، والشريعة ثابتة، أمّا المعرفة الدّينية فهي بشرية غير ثابتة.

3.2.2 فكرة الذاتي والعرضي في الأديان مقاربة تفصيلية.

يعتبر "سروش" بأنّ العرضي هو الشكل، والذاتي هو المضمون، تنبني عليهما وتبعا لهما التعاليم الدّينية إلى ذاتية وعرضية، مفرقا بين إطلاقه الذاتي والعرضي، وبين إطلاقات أخرى كالقشور واللباب، والطريقة والشريعة، ليحصي ثمانية شؤون عرضية في الدّين الإسلامي معتبرا أصالة الأعراض بأنّها محلية دورية لا عالمية تاريخية، وهي: اللغة العربية، والثقافة العربية، وإتيان الدّين بتصديقات وتشريعات جديدة أكثر من إبداعه مفاهيم أو تصورات جديدة، وأنّ التصديقات مقيّدة بأغلال التصورات، وأنّ تطرق النظريات العلمية في الطّب والنجوم إلى الكتاب والسنّة تطرق عرضي، أن عددا من الأحكام الفقهية والشرائع الدّينية عرضي، وأنّ الأحداث التي شهدها تاريخ الإسلام عرضية (ينظر، سروش، شتاء 2023، ص 176- 201).

وإذ يعرض "سروش" للعرضيات في الدّين فإنّه يحدّد ذاتيه بما ليس عرضيا يقول: « **ذاتي الدّين تبعا لذلك هو ما ليس بعرضي، فلا يكون الدين بدونه دينا، وتغييره يفضي لإلغاء الدّين، فذاتيات الإسلام ما لا يكون الإسلام بدونها إسلاما، وتغييرها يؤدي إلى ظهور دين جديد.**» (ينظر، سروش، شتاء 2023، ص 178) بمعنى أنّ الذاتي هو الذي يؤدي زواله إلى زوال الدّين وتغييره إلى تغيير الدّين.

يخلص سروش إلى استحالة إثبات وجود روح مشتركة بين الأديان « **فالأديان ليست جزئيات لكلي اسمه "الدين" وهي قبل أن تشترك ماهويا تتشابه عائليا (على حد تعبير فيتغشتاين[فيلسوف نمساوي بريطاني** (ينظر، فتغشتاين، 2007، ص 7)] **مثلها مثل أفراد عائلة تتشابه عيونهم وأشكالهم وأجسامهم وخدودهم، إلا أنهم لا يشتركون بشيء.**» (ينظر، سروش، شتاء 2023، ص 178) فالدّين على وفق هذا الرأي ليس دينا واحدا بل أديانا متعددة متشابهة.

يركنّ "سروش" من ثمّ إلى رأي "فيتغنشتاين" في تعريف الدّين يقول: « **يبقى التعريف التجريبي (نومينالستي) البعدي للدين، والمفضي في النهاية إلى رأي فيتغنشتاين القائل بالأديان لا بالدين، حيث لا يرى للأديان عصارة واحدة تستخرج منها، فهي كألعاب كرة القدم والشطرنج وركوب الخيل والمصارعة و.. إلخ التي يؤكد فيتغنشتاين أنها تبقى ألعابا، لا صورا مختلفة لـ "لعبة" لها حضورها في جميعها كنواة مشتركة.**» (ينظر، سروش، شتاء 2023، ص 178) ممّا يجعل تعريف الدّين بصيغة واحدة ينطوي على معضلات عويصة.

خاتمة.

من خلال محاولة قراءة "سروش" ومشروعه الفكري ومن قبله الاطلاع على عدد من المشاريع والرؤى والأطروحات الفكرية الشيعة نخلص في نهاية الورقة إلى ما يلي:

- ظهر في البيئة الشيعية المعاصرة عددا من الرؤى الفكرية حاولت المواءمة بين خلفياتها الدّينة ومواكبة العصر في إنجازاته ومستجدّاته.
- استبطنت الرؤى الشيعية العصرية في طيّاته مناهضة ومناقشة نظرية ولاية الفقيه المطلقة، فجاءت بعض تلك الرؤى ردود فعل عليها.
- تنوعت بيئات الرؤى الشيعية المناهضة لولاية الفقيه المطلقة ما بين عربية وفارسية، كما اختلفت في قربها وبعدها من الدولة الإيرانية.
- جاءت رؤى سروش من البيئة الإيرانية بل هو في منطلقاته كان مؤيدا للثورة الإيرانية وفاعلا ثقافيا في إيران بعد نجاح الثورة.
- أثرت الميول العرفانية والخلفيات الفلسفية الغربية لاسيما الحداثية في مشروعه الفكري.
- طرح سروش في مشروعه عددا من الرؤى والأفكار الجديدة على غرار؛ فكرة القبض والبسط، وفكرة الصرطات المستقيمة، وفكرة الذاتي والعرضي، وهي أفكار لافتة جديرة بالتأمل والدّراسة.

الإحالات والمراجع:

القرآن الكريم

- أحمد واعظي. (2003). *نظرية القبض والبسط*. لبنان: دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع.
- الصدر، باقر. (2009). *فلسفتنا*. لبنان: دار التعارف للمطبوعات.
- الفراهيدي، الخليل بن أحمد. (د ت). *العين*. بيروت: دار ومكتبة الهلال.
- المسيري. (د ت). *موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية*. د ب: نسخة المكتبة الشاملة مرقمة آليا.
- جعفر كاظم مكي البقالي. (سبتمبر 2020). قراءة في نظرية الصراطات المستقيمة عند الدكتور عبد الكريم سروش. *مجلة الراسخون*.
- حليم بن هبري، أحمد باجي. (جوان 2023). جدل المعرفة الدينية عند عبد الكريم سروش "نظرية في الإدراك العصري للدّين. *حوليات جامعة قالمة للعلوم الإجتماعية والإنسانية*.
- خماس مختار، الحاج دواق. (2023). القراءة الحداثية للعرفان الإسلامي. *مجلة مقاربات فلسفية*.
- عبد الكريم سروش. (شتاء 2023). الذاتي والعرضي في الأديان. *مجلة قضايا إسلامية معاصرة*.
- لودفيغ فتغشتاين. (2007). *تحقيقات فلسفية*. لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية.
- محمد السيد الصياد. (2022). سؤال السلطة في الفكر السياسي الشيعي المعاصر. *مجلة الدراسات الإيرانية*.
- محمد صقر الصياد. (د ت). *الفقيه والدين والسلطة جدلية الفكر السياسي الشيعي بين المرجعيتين العربية والإيرانية*. لندن: الخليج العربي للدراسات الإيرانية.